

المراجعة النقدية المؤسسة للكتابة اللسانية العربية من منظور سعد مصلوح

The Established Critical Review for Arabic Linguistic Writing from Saad Meslouh's Perspective

علاء الدين فداوي^{1*}، عليّة بيبة²

¹ جامعة العربي التبسي - تبسة - (الجزائر)، allaeddine.feddaoui@univ-tebessa.dz

مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية (E0280900)

² جامعة لونييسي علي - البليدة 2 - (الجزائر)، o.bibia@univ-blida2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/04/30 تاريخ القبول: 2024/07/27 تاريخ النشر: 2024/11/19

ملخص البحث:

Abstract:

This research falls within the realm of writings that extend beyond linguistics, focusing on the critical review of linguistic studies with a rigorous and comprehensive approach. The goal is to alert authors to potential methodological, epistemological, and formal flaws in their work, ensuring that readers benefit in a way that accurately reflects knowledge and facilitates its effective application. This effort is part of a broader critical project aimed at advancing and refining Arabic linguistic research, striving to elevate it to a level of prestige comparable to that found in Western scholarship.

In light of this, the research highlights a pioneering figure in this field, Saad Meslouh, through a detailed examination of his linguistic critiques. The study explores the significance of his reviews, analyzes their titles and introductions, and extracts the underlying concepts and principles, thus contributing to the continued development and establishment of this vital genre of critical writing

Keywords: Reviews; Saad Meslouh; linguistic writing; foundations; titles; introductions

يندرجُ هذا البحث في إطار كتابات ما وراء اللسانيات التي تهتم بمراجعة البحوث المنجزة في الحقل اللسانيّ تدقيقًا وتحقيقًا، بهدف تنبيه المؤلفين إلى الهفوات والأخطاء المنهجية والمعرفية والشكلية في كتاباتهم، ضمانا لتحقيق الاستفادة لدى المتلقي بشكل يقوده إلى تمثّل صحيح للمعرفة واستثمار ناجع لها. وهذا ضمن المشروع النقديّ الساعي لترقية البحث اللسانيّ العربيّ وتجويده ليبلغ موقعا مرموقا يضاهي ما يُنتج في البيئة الغربية.

واستنادًا إلى ما سبق، يرصد البحث نموذجًا رائدًا في هذا المجال؛ ممثلًا بـ "سعد مصلوح"، من خلال تقليب النظر في مراجعاته اللسانية (مُثاقفاته)؛ تبيينًا لأهميّتها، وتحليلًا لعناوينها ومقدماتها (فواتحها)، واستخلاصًا لمفهومها وأسسها، إسهامًا منّا في مواصلة التأسيس لهذا الصنف المهمّ من الكتابات النقدية.

الكلمات المفتاحية: مراجعات؛ سعد مصلوح؛

كتابة لسانية؛ أسس؛ عناوين؛ مقدمات.

مقدمة:

يعمدُّ كثير من الباحثين في الوطن العربيّ إلى رصد ومتابعة الأبحاث المنجزة في تخصّصاتهم؛ مراجعةً وتقويماً، بعد إدراكهم الحاجة الماسّة لهذا النّوع من الكتابات، ومدى إسهامها في تحقيق نهضة العلوم وجودة البحوث، بالنّظر للمستوى الراقى والنّوعيّ الذي آلت إليه المؤلّفات الغربيّة، ولا شكّ أنّ ثقافة المراجعة المترسّخة لديهم إحدى أهمّ العوامل الموصلة لمثل هذه النّتائج، ومن أبرز الأمثلة الّتي نستحضرها في هذا السّياق نعوم تشومسكي، صاحب النّظرية التّوليديّة التّحويليّة، فهو يعاود النّظر باستمرار فيما يكتبه من أفكار مرتبطة بتوجّهه الإدراكيّ (العرفانيّ)، وكثيراً ما يستفيد من قراءات منتقديه، ومن جهة أخرى فهو يقرأ غيره، ويراجع مؤلّفات رؤاد المدرسة السلوكيّة. وما يؤكّد أنّ المراجعة في الثّقافة الغربيّة ذات أهميّة؛ تخصّصهم لمجالات تُعنى بها وترصد حركة التّأليف أولاً بأول.

وإذا كان هذا الحال مع الثّقافة الغربيّة المعاصرة، فتراثنا العربيّ غنيّ هو الآخر بوفرة المراجعات، ولا أدلّ على ذلك من أطروحات الدّكتوراه الّتي تتناول هذه القضية، لعلّ آخرها أطروحة لفتت انتباهنا، نُوقشت بالمغرب في جامعة السّلطان مولاي سليمان (كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – بني ملّال-)، يوم 2024/04/19، تحت عنوان: (جهود أبي حيّان الأندلسيّ (ت 745 هـ) النّقديّة في علمي النّحو والقراءات، بعضُ مراجعاته على ابن عطية خلال البحر المحيط)، والأمثلة كثيرة ومتنوّعة. ونشيرُ هنا أنّ القارئ قد يجد أحياناً على أغلفة الكتب المترجمة اسم المراجع، وذلك مقصود آخر للمراجعة غير الّذي سنتطرّق إليه؛ وهو المراجعة اللّغويّة للنّص المترجم أو المعرب، والنّظر في مدى مطابقتها للنّصّ الأصليّ.

ومن ضمن الباحثين العرب المعاصرين الّذين خاضوا غمار المراجعة النّقديّة للكتابات اللّسانيّة نجد: حمزة المزيّني، مصطفى غلفان، حافظ إسماعيلي علوي، عبد السّلام المسديّ، وسعد مصلوح، هذا الأخير الّذي سنخصّه بالحديث؛ نظراً للتّنوّع والعمق والشّموليّة وغيرها من الميزات الإيجابيّة الّتي تطبع كتاباته، ونلاحظ ذلك في الفترة الممتدّة من ثمانينات القرن الماضي إلى العقد الثّاني من هذه الألفيّة؛ أين صدر له سنة (2021) بحث مُراجعاتيّ موسوم بـ (عن دقائق التّلبّيس بين التّأليف والتّرجمة: كتابات صلاح فضل أنموذجاً). وبناءً على ذلك يتحدّد إشكال البحث في الآتي: كيف تمثّل سعد مصلوح هذا النّوع من التّأليف؟ وما ملامح خطابه النّقديّ للكتابات اللّسانيّة العربيّة؟ وفيم تتمثّل الأسس المرتكز عليها في عمليّة المراجعة؟

1- المراجعة اللّسانيّة في الثّقافة العربيّة:

على طريقة الغربيّين وديندهم في متابعة البحوث الحديثة الصّادرة في المجلّات والمؤلّفات، سار نخبة من باحثينا العرب، مسخّرين لذلك أذهانهم بما تحمله من حسّ نقديّ فريد، نحو مراجعة وتقويم حصيلة ما يُكتب في اللّسانيّات بفروعها المختلفة، فهي حمزة المزيّني يدعو إلى ضرورة الانخراط في مسعى المراجعة لما فيها من فائدة جمّة على البحث العلميّ تُجنّبه كثيراً من العوائق والمطبات الواقعة فيها، فهو يرى أنّ المسائل الّتي عُرضت في كتابه "مراجعات لسانيّة"، "لا زالت تمثّل العوائق السّلبيّة الأساسيّة في مجال البحث العلميّ بعامّة في العالم العربيّ. فلا يزال هناك كثير من التّراخي في متابعة منجزات الأبحاث العلميّة الجادة، وبخاصّة في اللّسانيّات، ولا يزال هناك كثير من النّماذج السيّئة للتّرجمة إلى اللّغة العربيّة من اللّغات المختلفة، ولا يزال هناك كثير من الرّغم

وإدعاء الريادة. ولا أظن أن كتابا واحدا يستطيع تغيير هذه العيوب البنيوية في الثقافة العربية المعاصرة، لكنه لا بُدّ من الاستمرار في لفت النظر إلى هذه المشكلات المعرفية الجذرية⁽¹⁾. ولفت النظر إلى الجوانب الإيجابية والسلبية في المؤلفات لا يكون إلا بتفعيل المراجعة الجادة وتغليب منطق العلم على حساب العاطفة والمجاملة. وذلك ما يراه المزيبي حين يقول: "إنّ البحث العلمي بمجمله إنّما هو بطبيعته لا يخرج عن كونه مراجعة مستمرة لما أنجزه السابقون. غير أنّ الملاحظ في الثقافة العربية أنّه قلّما يهتمّ الباحثون بمراجعة الكتب التي تصدر حديثا، لذلك يظلّ كثير منها مجهولا لا يصل خبره إلى المتخصّصين ولا يُعطى حقّه من التنويه به إن كان جيّدا، ومن الإشارة إلى ما فيه من النواقص إن كان سيّئا"⁽²⁾.

وبالمقارنة مع الثقافة الغربية ذات الحركة الواسعة في هذا المجال، يصف الباحث ذاته الثقافة العربية بـ "الصّامته" نظرا لغياب الاهتمام بمراجعة الكتب، "وسبب عدم الاهتمام هذا إنّما يكمن في نظر كثير من الباحثين إلى أنّ مراجعة الكتب عمل تافه لا يستحقّ أن يُبذل فيه الجهد، لهذا فإنه لا لوم على من يصف الثقافة العربية المعاصرة بأنّها ثقافة صامته، يكاد ينعدم فيها الحوار العلمي، إذ يكتفي القارئ في أغلب الأحوال بالاحتفاظ لنفسه بانطباعاته عمّا قرأ"⁽³⁾. ولا شك أنّ الاحتفاظ بوجهة النظر في النفس مردّه إلى عدم تقبّل المتلقّي للملاحظات التي يُبدئها القارئ عن عمله، وقليل ما هم الذين يرحّبون بها وينظرون في مدى صحتها وفائدتها وتطابقها مع صحيح العلم، والتّنبه من يتفطّن إلى أنّ قيمة مؤلّفه من عدمها إنّما تكون بتداوله بحثا وفحصا وتمحيصا وتدقيقا في تفاصيله كلّها، والكتاب الذي لا يُقرأ ولا يُراجع حُكم عليه بالسّجن المؤبّد والموت البطيء، وممّا يجدر الإشارة إليه أنّ في "قراءة هذه المراجعات وقراءة ردود مؤلّفي الكتب المراجعة متعة فكرية ولغوية لا مثيل لها، حيث تجد فيها مقارعة الأفكار ومعارضة بعضها ببعض، ومحاولة صوغ الحجج المتناظرة المختلفة بطرق تُغني الفكر وتُبين عن براعة في استخدام اللّغة في الاحتجاج العلمي والمنطقي"⁽⁴⁾. فانظر إلى عظيم فائدة المراجعة وقراءتها والرّد عليها!

والاهتمام بالمراجعة المتجلى لدى حمزة المزيبي نجده حاضرا كذلك في كتابات مصطفى غلفان النقديّة التقويمية، حيث يقول في معرض حديثه عن الخطاب اللّسانيّ العربيّ معيّرا عن المراجعة بالتمحيص والفحص: "والملاحظة الأولى التي تتبدّى للمتنبّع هي أنّ وجود تراكم من الدّراسات والمؤلّفات اللّغوية التي تعجّ بها الثقافة العربيّة الحديثة، لا يفرز عند التّمحيص النظريّ والفحص المنهجيّ إلاّ حالات نادرة ممّا يستحقّ فعلا أن يندرج في إطار البحث اللّسانيّ بالمعنى العلميّ الدّقيق"⁽⁵⁾. ويصرّح في موضع آخر من مشروعه المائل في أطروحة الدكتوراه بضرورة تقويم الرّاهن اللّسانيّ العربيّ ومراجعتة: "لقد آن الأوان أن نقوم التّجربة اللّسانية في الثقافة العربيّة الرّاهنة متسائلين: كيف وعى اللّغويّون العرب المحدثون مبادئ اللّسانيّات العامّة وفرضيّاتها ونماذجها النظريّة؟ كيف تمّ توظيف كلّ هذه الأمور وتطبيقها في دراسة مختلف جوانب اللّغة العربيّة؟ كيف تمّ نقل كلّ ذلك للقارئ العربيّ متخصّصا كان أم قارئا عاديا؟"⁽⁶⁾. فهذه جملة من الأسئلة الوجيمة الكفيلة بتقويم جيّد للواقع اللّسانيّ العربيّ في ضوء مراجعة الكتب اللّسانية على اختلاف توجّهاتها ومنطلقاتها النظريّة والمنهجية. وتحدّد الغاية من ذلك بحسب غلفان أن "ليس الغرض من تقويم الكتابة اللّسانية العربيّة إصدار أحكام قيمية في حقّ هذه الكتابة أو تلك، سلبا أو إيجابا. إنّ ما نطمح إليه هو وضع لبنات منهجية محدّدة لتحليل الكتابة اللّسانية العربيّة تحليلا موضوعياّ يمكّن من إبراز إمكانيّاتها النظريّة داخل حقل اللّسانيّات العالميّة، وبالتالي إعطاء الخطاب

اللّسانيّ العربيّ نوعاً من المصادقيّة بعيداً عن كلّ أشكال الصّراع المذهبيّ أو الشّخصيّ⁽⁷⁾. وهنا تفتقر دراسة مصطفى غلفان المنهجية والشمولية عن بعض الدّراسات المراجعية الأخرى التي تكون في الغالب انتقائية لأغراض قد تخرج عن البحث العلميّ؛ لأنّه "كثيراً ما يغلب على مراجعة الكتب مجاملة المؤلّف لصداقة بينه وبين المراجع، أو تغلب عليها القسوة لسبب من الأسباب غير العلميّة، وكثيراً ما تمرّ الكتب دون مراجعة بسبب المقايضة"⁽⁸⁾. فالمراجعة الجادة تنأى عن كلّ هذه المظاهر التي لن تزيد وضعنا العلميّ سوى ضعف وترهل وسير إلى الخلف.

وضمن السّلسلة ذاتها، نجد كتاب حافظ إسماعيلي علوي التّقويّ أيضاً "اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة المعاصرة - دراسة تحليليّة نقدية في قضايا التّلقّي وإشكالاته"؛ الذي هو "بمثابة مراجعة تقويمية للتّجربة اللّسانية العربيّة وموقعها ضمن خانات الفكر العربيّ، من خلال ضبط ردود الفعل المتراكمة وتنظيمها وتحليلها وتفسيرها سعياً وراء خلق وعي نظريّ يتيح استثماراً أسلم للّسانيّات في ثقافتنا"⁽⁹⁾. وقد قدّم له أستاذه مصطفى غلفان بمقدّمة تنبئ عن مدى وعيه بالهدف المرجوّ من المراجعة: "غايتنا جميعاً من المراجعة المستمرة لذواتنا المعرفيّة هي التّصالح مع المنهج العلميّ الرّصين لمقاربة موضوعيّة ومُجدية للّغة العربيّة من أجل انطلاقة جديدة للّسانيّات العربيّة ومعها الثّقافة العربيّة"⁽¹⁰⁾. تلك هي الأهميّة الكبرى للمراجعات، إذ من خلالها نميّز ما هو منهجيّ علميّ خادماً للّغة والثّقافة، ممّا هو مبتذل سطحيّ تغيب فيه المنهجية الواضحة، مؤدّ إلى طريق مجهول مختوم بلافتة موسومة بـ "قف".

وفي ثانياً معالجة الباحث "مبارك حنون" ضمن كتاب صادر حديثاً (2023) لموضوع "سؤال حكمة الشّأن اللّغويّ"، نجده يلجّ على ضرورة المراجعة وإقحام الفكر الإستيمولوجيّ النّاقداً في ضبط بوصلة البحوث؛ فهو يعتقد بكلّ إصرار ويقين، "أنّ حقل السّياسة اللّغويّة قد أصبح بحاجة إلى مراجعة نقدية في ضوء التّراكمات المعرفيّة، وما أفرزته تقويمات السّياسات اللّغويّة والشّبكات الإستيمولوجيّة المواكبة للفعل السّياسي والفعل اللّساني"⁽¹¹⁾. كما يؤكّد مرّة أخرى في سياق حديثه عن الفوضى المصطلحيّة اللّسانية التي نبّه إليها عديد الباحثين؛ أنّ ممّا يمكن ملاحظته "حاجة الدّرس اللّسانيّ إلى النّقد والمواكبة والدّراسات التّتبعية والتّقويمية"⁽¹²⁾. وفي ذلك عظيم الفائدة للبحث المصطلحيّ الذي بإمكانه التّخلّص من مشكلاته المطروحة بكثرة في حلقة النّقاش، فلو أنّ الآخرين اطّلعوا على جهود ودراسات الأوّلين لبنينا على أبحاثهم ومصطلحاتهم، وتجنّبنا المزيد من الوضع العشوائيّ المربك للعلم والثّقافة بصفة عامّة.

2- في أهميّة المراجعة عند سعد مصلوح:

تكتسي المراجعة لدى سعد مصلوح أهميّة بالغة، ويتجلّى ذلك في كتاباته المتفرقة خلال رحلته المعرفيّة طيلة عقود من الزّمن برفقة الدّرس اللّغويّ العربيّ، أين صدرت له مقالات مختلفة في شتّى الأماكن في النّقد والتّقويم والمراجعة والرّد والتّعقيب على بحوث تتناول قضايا لغويّة تُعنى بالعربيّة، وقد حرص المؤلّف على جمعها في كتابين مُهمّين أوّلُهُما؛ "في النّقد اللّسانيّ - دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف" - (2003)، وثانيهما "في اللّسانيّات العربيّة المعاصرة - دراسات ومثاقفات" - (2004)، وهما بمثابة عمل مراجعائيّ فريد في تتبّع المنشورات الصّادرة للباحثين العرب، خاصّة تلك التي تكون ثورة على ما سبقها من أفكار ومبادئ ومسلّمات.

وبالنظر في فاتحتي الكتابين نلمس الغاية الشريفة والمرمى النبيل الذي تغيّاه سعد مصلوح في اختياره هذا المذهب والطريق، فهو يقول: "ولقد قصدت بعملتي هذا أن يكون حوارًا لا مُبارزة، وأردت به وجه الحق لا الغلبة. ومعاذ الله أن أدعي لنفسي فضيلة أتمزّي بها على غيري، فربّما كنت أعرف النَّاسَ بعيوبي. بيد أنَّ الخلاف في الرّأي من طبائع العقول وبه - لا بغيره - تتّسع الرّؤية ويزكو العلم وتُسفر الحقيقة"⁽¹³⁾. فهذا التّصريح الوجيه من الباحث يبيّن لنا المنطلق الأوّل لكلّ من يريد السّير في طريق المراجعة، وهو أن يعقد النّية البحثيّة على إثبات وجه الحقيقة خدمة للعلم والمعرفة لا غير، بعيدا عن السّمعة والشّهرة الرّائفة، وكلّ ذلك باتّباع أسلوب المحاورّة المحقّق للمنفعة والخادم للغة. وتتّضح أكثر الأخلاقيّات الواجب توقّرها في هذه السيّاقات البحثيّة حين يعتبر سعد مصلوح خوض المراجعة ما هو إلّا "احترام للعقول الّتي أنتجت ذلك النّتاج المتميّز المستحقّ لأن يكون موضوعا للتأمّل، وللعقول النّاقدة المتطلّعة إلى المعرفة، وهو احترام يُوجب علينا - نحن أهل العلم وطلّابه - أن نطرح التّزلف والرّياء، وأن ننبد إليها في الخلاف العلميّ على سواء"⁽¹⁴⁾. فما أحوجنا إلى التّحلّي بذلك قبل مباشرة الأعمال!

إنّ أهميّة المراجعة عند الباحث كونها رصدًا لحركة العقل المتجولّ في الظواهر اللّغويّة وما يُكتب حولها، جعلته يعدّها فرض عين على كلّ متمرّس في المعرفة، "وإنّي لأحسبه من فروض الأعيان القاضيّة بعدم كتمان العلم أن يُدليّ أهله دلاءهم بالجدل المنتج والمراجعة لما تتداوله السّوق البحثيّة من مصنّفات، ولقد أخذت نفسي بالمبادرة إلى إيجاب الواجب"⁽¹⁵⁾. وقد كان ذلك الإيجاب والدّعوة إليه بعد أن رأى الالتفاف الكبير حول مراجعة الكتب في الدّوريات الأجنبيّة وهو يتصفّحها، وكذا عدم قناعته بالاكْتفاء بدور المتابع في صمت لما يؤلّف ويُشر في مكتباتنا العربيّة. يقول: "لم أقنع فيها بأن أكون متابعًا حريصًا على قراءة ما تنفضه المطابع في حجورنا من نتاج في علم اللّسان، بل زدت على تقييد الملاحظ بالتأييد أو التّفنيد، ومعالجة المسائل بالتّشقيق والتّدقيق، وتصويب ما بدا لي فيه منها بداء. وكنت منذ سنّ الطّلب الأوّل شديد الحفاية بتتبّع الدّوريات المتخصّصة في اللّسانين؛ الإنجليزيّ والرّوسيّ، وراعني ما كانت تحظى به مراجعات الكتب من فائق العناية"⁽¹⁶⁾. وتلك هي سمة الباحث الحقّ، إذ بالإضافة لحرصه الدّؤوب على متابعة آخر الإصدارات وقراءتها، يسعى لإبداء رأيه فيها تأييدًا أو تفنيدًا، مستعينًا في ذلك بزاده المهجّي والمعرفيّ تدقيقًا وتحقيقًا وتمييزًا بين الغثّ والسّمين والجيد والرّديء.

ومن الدّوافع الّتي تتيح شرعيّة اقتحام فضاء الكتابة في هذا المجال، وتجعل العمل المراجعاتيّ ذا أهميّة وضرورة، أنّ كثيرًا من الكتابات الّتي تنتمي للدّرس اللّسانيّ خالطها الوهن والخلط والابتذال، فباتت المراجعة هنا من أوجب الواجبات حتّى يتنبّه الغافل ويستفيق النّائم؛ "إذ استبدل كثير من المنتسبين إلى الدّرس اللّسانيّ بالريث الاستعجال والاسترسال، وبالتّجويد والإتقان سوء الإهتبال، وهجروا المثافنة إلى الوجادة، (وكان سلفنا العظيم يعنون بالأولى مجالسة أهل العلم ومحاورتهم، والثّانية قول القائل: وجدت في كتاب فلان كذا وكذا)"⁽¹⁷⁾. ولا شكّ أنّ في الأولى سبيل تقدّم اللّسانيّات وفي الثّانية تأخّرها؛ لأنّ النّقل من الكتب دون إخضاعه لمصفاة المنهج العلميّ تشذبيًا وتدقيقًا، من شأنه أن يعيدنا خطوات إلى الخلف. والتّخلف عن مواكبة ومسيرة البحوث اللّسانية بالمراجعة والنّقد له عواقب وخيمة من بينها "أن تشيع السّطحيّة والفراغ في غياب الحركة النّقدية الّتي تتابع في إخلاص جهود أهل العلم، وفي غياب تقبّل هؤلاء للنّقد برحابة أفق وسعة صدر"⁽¹⁸⁾. لذا يتعيّن على كلّ صاحب عمل مُراجِع أن يعي جيّدًا أنّ في تناول عمله بالنّقد والفحص والتّمحيص رفع لقيّمته وتوجيهه له ليصحّح

ما غفل عنه، أو كان معتقدا صحّته من حيث لا يدري خطأه، وليس الغرض من ذلك الطعن أو التّحامل على ذات الباحث، وإن حدث هذا فقليل ما هو، ولا ينبغي المبالغة في تأويل النّقد إلى درجة تُصبح فيها كلّ مراجعة تحاملا، وكلّ تقويم طعنا له خلفيّة أيديولوجيّة أو نفسيّة بذريعة تصفية الحسابات، والشّاذّ يحفظ ولا يُقاس عليه.

3- قراءة في عناوين ومقدّمات مراجعته:

1-3- العناوين:

المتأمّل في عناوين ومقدّمات (فوائح) مُراجعات سعد مصلوح اللّسانيّة، يلحظ ثراء وتنوعا في موضوع البحث وطريقة العرض وأسلوب المراجعة، ويبدو ذلك جليّا في الذي ضُمّن كتابيّه المُشار إليهما سابقا (في النّقد اللّسانيّ + في اللّسانيّات العربيّة المعاصرة)؛ أمّا المصنّف الأوّل فيحوي أربعة مباحث (دراسات)، وخمسة مُثاقفات، ولا ندري علّة إدراجه المبحث الأوّل (رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا للأستاذ محمود محمّد شاكر) وكذا المُثاقفة الرّابعة (الاختلاف الحضاريّ والتنوّع الخلّاق - تعقيب على بحث للأستاذ الدّكتور عبد السّلام المسديّ) بين دفتيّ الكتاب، إذ يتّضح من عنائهما أنّهما لا ينتميان إلى موضوع الدّراسة (النّقد اللّسانيّ)، وهي منتظمة كالآتي بالاستغناء عن هذين البحثين:

الجدول 01: في النّقد اللّسانيّ - دراسات ومُثاقفات في مسائل الخلاف - (الكتاب 1)

الدّراسات	في مسألة البديل لعروض الخليل - دفاع عن قائل -
	المصطلح اللّسانيّ وتحديث العروض العربيّ - دراسة في كتاب كمال أبو ديب - « في البنية الإيقاعيّة للشّعر العربيّ »
	علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب - ردّ على صلاح فضل -
المُثاقفات	لست ناقدًا بنيويًا ولا في نيتي أن أكون - ردّ على تعليق -
	دون اللّوم وفوق العتاب - تعليق على بحث للأستاذ الدّكتور ناصر سعد الرّشيد -
	وهل هناك مكان لنقد غير لغويّ؟
	هل أذاك حديث الفتى؟

هذه إذن عناوين أبحاث الدّكتور سعد في كتابه المراجعاتيّ الأوّل، والنّاظر فيها يتلمّس دقّة الصّيغة وحسن انتقاء الكلمات بما يخدم هدفه الذي ينشده، وتوظيفه لاستراتيجيّات بلاغيّة تثير القارئ وتستجلب فضوله، كالسّجع: (البديل/الخليل/قائل)، (الأسلوب/المطلوب)، والطّباق: (دون/ فوق) والاستفهام الإنكاريّ: (هل هناك مكان لنقد غير لغويّ؟) والاستفهام التّهكّيّ: (هل أذاك حديث الفتى؟). وأمّا الكلمات الّتي توحى بوجود مُعالجة يردّ فيها على الطّرف المقابل: (دفاع - ردّ - تعليق..)، وهي مصادر تحمل في ثناياها القوّة والرّغبة الجامحة في تبين الموقف العلميّ كلّما دعت الضّرورة لذلك؛ سواء أكان في مقام الردّ على بحث مكتوب منشور في مجلّة أو خطاب شفويّ مسموع في ندوة أو تعليق جانبيّ أُثيرَ على هامش مؤتمر علميّ، كلّ ذلك مقامات تخاطبيّة يجنّد لها الباحث - سعد مصلوح - حملته اللّغويّة والفكريّة والنّقديّة، ويقف فيها مترصّدا ومواجهها " طوفان الأبحاث والرّسائل

الجامعية التي ينتسب كثير منها بالباطل إلى اللسانيات أو النقد، أو تكون رجرجة بين ذلك، وهي تلبس ظاهرا من مرقعات الحداثة، وتثير بجعجة العنوانات عاصفة من غير ربح، ولا يدري صانعوها أن القلنسوة لا تصنع الراهب⁽¹⁹⁾.

وإذا ما أردنا أن ننظر في طبيعة المواضيع التي تظهرها العناوين تبين لنا أنها في مجملها تنتهي إلى المجال الذي يحبذه الباحث في إطار تخصصه اللساني الدقيق، وهو الأسلوبية الإحصائية والصوتيات؛ أي البنيوية اللغوية لا النقدية، ولسانه يقول حينما نُسب إلى البنيوية النقدية بغير وجه حق على إثر إلقائه محاضرة بعنوان: "المنهج اللغوي في النقد الحديث"؛ "إنني واقف حيث اختارت لي الأقدار - وما أحبه إلى نفسي من اختيار- على أرض التحليل اللغوي الدقيق، معتزاً بانتمائي إلى المدرسة اللغوية المعاصرة، وأوثر دائما أن أحسب في عداد اللغويين المتخصصين على أن أعد من هواة النقد"⁽²⁰⁾. تلك هي الزاوية التي يطمئن إليها سعد مصلوح ويركن إليها، زاوية ترنو إلى مضاهاة العلوم الدقيقة في دقة معطياتها وتحليلاتها ونتائجها، زاوية لا ذاتية فيها ولا انطباعات ذوقية تتيح إمكان الكتابة والتحليل للمختص وغيره من الهواة، "ومن الصعب على من تشكلت شخصيته العلمية في مناخ التحليل اللغوي والصوتي أن يتقبل منهجا ذاتيا ممعنا في ذاتيته، وإن حاول أن يقدم نفسه إلى الناس في مظهر عقلائي لا شك في عقلانيته"⁽²¹⁾.

وينبغي الإشارة هنا أن العنوان الرئيس للمصنف (في النقد اللساني)، بُني على بحثين مهمين يُعدّان - في رأينا - جوهره، أما الأول فهو؛ "لست ناقدا بنيويا ولا في نيتي أن أكون - ردّ على تعليق"، وأما الثاني فهو "وهل هناك مكان لنقد غير لغوي؟"، أبان فيهما الدكتور سعد عن فروقات منهجية ومفهومية تدلّ على تمرسه اللساني، وحسه النقدي، ونظرتة الثاقبة لما يُقال ويكتب عن اللغة باللغة.

وبالنظر في المصنف الثاني الذي يحوي ثمانية مباحث (دراسات) وثلاث مثاقفات، نجد المواضيع المطروقة جميعها مطابقة للعنوان الرئيس (في اللسانيات العربية المعاصرة)، وموافقة لما جاء في الكتاب الأول من حيث التقسيم المنهجي (الدراسات ثم المثاقفات)، مع تسجيل ملاحظة بادية للعيان، وهي أن الحيز الأكبر في المصنفين كان من نصيب ما أسماه ب؛ (الدراسات). كما يجدر التنبيه إلى أن المؤلف أثبت (مسائل الخلاف) في العنوان الفرعي لكتابه الأول وجردها من الثاني، ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى كون المثاقفات المطروحة في الكتاب الأول، كانت قضاياها مثارا لجدل ونقاش واسع في الساحة اللسانية، وكأنّ بالدكتور سعد مصلوح جاء ليُميط اللثام عن القول الفصل فيها، على خلاف ما تناوله في مثاقفات الكتاب الثاني التي لم تكن مسائلها محلّ خلاف ساخن ونقاش مستفيض. والخلاف في الرأي في نظر الباحث - كما أشرنا -؛ "من طبائع العقول، وبه - لا بغيره - تتسع الرؤية، ويزكو العلم، وتُسفر الحقيقة"⁽²²⁾. وقد جاءت البحوث منتظمة كالآتي:

الجدول 02: في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومثاقفات - (الكتاب 2)

اللّسانيّات العربيّة المعاصرة والتّراث - حصاد الخمسين -	الدراسات
العربيّة ولهجاتها ل عبد الرّحمان أيّوب	
استثمار الفوضى - دراسة تقويمية لمشروع المعجم اللّسانيّ الموحّد -	
المنهج الصّوتي للبنية العربيّة - رؤية جديدة في الصّرف العربيّ ل عبد الصّبور شاهين -	

المدخل إلى علم الأصوات - دراسة مقارنة لصلاح الدين صالح حسنين -	
في صوتيات العربية لـ محيي الدين رمضان	
المذهب النحوي عند تمام حسان - من نحو الجملة إلى نحو النصّ -	
معجم القراءات لـ عبد اللطيف محمّد الخطيب	
اللغة والتطور والمنهج المعياري - تعقيب على بحث لـ صلاح الدين صالح حسنين -	المثاقفات
كلمة بين يديّ معجم سمات الشخصية لـ أحمد عبد الخالق	
المعجمات العربية وموقعها بين المعجمات العالمية - تعقيب على بحث لـ محمود فهمي حجازي -	

هذه إذن جملة البحوث المعروضة في الكتاب المراجعاتي الثاني، وقد تراوحت بين مراجعة عامّة وأخرى خاصّة؛ أمّا العامّة فيمثلها البحث الأوّل "اللّسانيّات العربيّة المعاصرة والتّراث - حصاد الخمسين -"، ونحسب أنّ ما تلاه من أبحاث يندرج ضمن المراجعة الخاصّة في أحد التّخصّصات اللّسانيّة، (المعجميّة، الصّوتيّات، لسانيّات النصّ..)، وفي ذلك إشارة لموسوعيّة الرّجل، فهو لا يكتفي بتخصّص واحد، بل نجده رحّالة هنا وهناك، طوّافاً حول ما يُكتب عن العربيّة، باذلاً وقته وجهده من أجل تقويم المعوجّ وتصحيح وضع البحث اللّسانيّ العربيّ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وبمقارنة بسيطة بين عناوين المؤلّف الأوّل والمؤلّف الثاني نلاحظ تخليّاً عن اعتماد الكلمات القويّة، شديدة الوقع، ونزوعاً نحو الهادئة منها، والصّيغ المباشرة، مثل: (حصاد الخمسين، دراسة تقويميّة، كلمة بين يديّ، تعقيب على بحث)، ولا شك أنّ الباحث دقيق في اختياره لهذه الأساليب التّعبيريّة في معالجة البحوث المتناولة، وغاية ذلك أن يتماشى فهرس الموضوعات مع العنوان الرّئيس (في اللّسانيّات العربيّة المعاصرة)، ويتجنّب حدوث هوة تحجب الرّؤية وتثير الحيرة، على اعتبار أنّ اللّسانيّات علم دقيق، والبحث فيها يقتضي تحديد التّعبير بدقّة والكلمات بموضوعيّة، فإذا ما فضّل الكاتب اللّعب بالكلمات خرج من دائرة العلم إلى فضاء الإبداع، ومن الهدوء والاتّزان إلى الحماسة والاندفاع، ومن النّقد المؤسّس إلى النّقد الاعتباطيّ، ووُجّهت إليه من ثمة انتقادات جمة، على غرار ما حدث للباحث حمزة المزيّني حينما غرّد في حسابه على التّويتر ببحث عنوانه: "البُكاء من تحقيق البُكاء - ملحوظات على تحقيق الأستاذ الدكتور محمّد كاظم البُكاء لكتاب سيبويه-"⁽²³⁾. فعلى الرّغم من شرف الغاية وقيمتها، وأهميّة الملحوظات في تنبيه المحقّق إلى ما يجب عليه إعادة النّظر فيه، إلّا أنّ الجزء الأوّل من العنوان جنى عليه، بل كلمة واحدة (البُكاء) كانت سبباً في تعرّض الباحث لردود عنيفة من المتعاطفين مع الأستاذ البُكاء في إحدى الصّفحات الفيسبوكيّة⁽²⁴⁾. وفي هذا الباب، يحذّر الباحث نعمان بوقرة من النّقد التّهكّيّ "الذي لا يخلو من شدّة وقساوة قد تُحوّل اللّسانيّات إلى تلاسّن"⁽²⁵⁾. ولا يخفى على ذي بال خطر ذلك على البحث العلميّ بعامة، فالواجب على المراجع هنا، أن يضبط كلماته وينتقي عباراته وبخاصّة عبارة العنوان، ويحترز من أن يتحوّل بحثه إلى مُثير للتّلاسّن المذموم، فيسيئ من حيث كان يريد الإحسان والتّحسين.

2-3- المقدّمات (الفواتح):

قدّم سعد مصلوح كتابيه التّقيديّين المُشار إليهما سابقاً بفاتحتين عامّتين أكّد فيهما ضرورة متابعة جهود أهل العلم، ورصد حركة العقل بالتأمّل وإمعان النّظر في جميع إنتاجاته، وعدم الاكتفاء بدور المشاهد الصّامت، فذلك أسوأ ما قد تواجهه الثقافة العربيّة الإسلاميّة، "التي تفخر بوفرة تصانيفها في الجدل والمناظرة ومسائل الخلاف في سماحة نادرة، يعبر عنها بعض أئمة العلم فيها بقوله: رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصّواب"⁽²⁶⁾. لُتَبَعَ ذلك بدراساته ومثاقفاته، وقد شملت كلّ دراسةٍ فاتحةً أحاط من خلالها القارئ بالموضوع ومناسبة كتابته، وأمّا المثاقفات فبدأها بإضاعة قصيرة.

وبالنّظر في تلك الفواتح نجد الباحث دقيقاً حاذقاً في سبكها وحبكها، يمهد للموضوع بفقرة أو فقرتين وثيقيّ الصّلة به، ثمّ يعرض لدوافع الاشتغال عليه، والغاية التي يريد الوصول إليها. يقول في إحداها بعد سرد الدّوافع من أولها إلى رابعها: "من هنا كان اهتمامي بهذه المحاولة وتقويمها من شتّى جوانبها، على أنّي سأمحض هذا البحث لدراسة قضية بعينها، ألا وهي موقف أبو ديب ممّا سبقه من جهود بعامة، ومن مقالة فائيل؛ تلك التي تضمّنتها دائرة المعارف الإسلاميّة في طبعها الجديدة (1960) عن العروض بخاصّة"⁽²⁷⁾. وهذا التّحديد الدّقيق من سمات البحوث الأكاديميّة حتّى يتمكّن الباحث من ضبط مجاله، ويعالج بحثه على الوجه المطلوب.

ولأنّ العلم في جوهره مصطلح ومفهوم، وبهما تتحدّد التّصورات وتبرز المرجعيّات، فقد أولاها سعد مصلوح نصيبهما في دراساته التّقويميّة، وأشار إلى ذلك في فواتحه (مقدّماته)، وجعلهما الأرضيّة التي ينطلق منها في مناقشة المخالفين، ولعمري إنّ ذلك لأسمى الأدوار التي يضطلع بها المراجع، فإذا ضُبط المفهوم المصطلحيّ تيسّر ما بقي من جُزئيّات، يقول: "ولمّا كان باب القول في هذا الأمر ذا سعة، وكان هذا البحث من قبيل المدخل والتّمهيد له، فقد حاولت ما وسعني الجوال ألا أتقحّم على غمرات هذه اللّجة حتّى ننتهي من الكلام في أمر تحرير المفاهيم المصطلحيّة، وهي أسّ الخلاف ومدار الجدل"⁽²⁸⁾. وفي ضوء هذا القول نستشفّ أمرين؛ أمّا الأوّل فهو تصريحه بالغاية التّعليميّة لمقاله هذا، وذلك يندرج في إطار ما يُطلّق عليه (اللّسانيّات التّمهيدية)، والثاني أنّ أساس الحجاج والمناظرة قائم بالأساس على الاختلاف في المفهوم المصطلحيّ.

إنّ التّادّب مع المخالف في سياق البحث العلميّ والمراجعاتيّ بخاصّة، لمُنْ أوكّد الواجبات التي لا ينبغي الحياد عنها، وهذا ما لمسناه من الباحث في كثير من المواضع، ولعلّه يكون أكثر لُطفًا وأشدّ حرصًا على انتقاء جميل الألقاب والأوصاف حينما يكون المخاطبُ ذا منزلة علميّة سامقة، ومسار بحثيّ مشهود له فيه بالكفاءة والاقتدار، فانظر - على سبيل المثال - إلى مخاطبة سعد مصلوح لزميله صلاح فضل في فاتحة مقاله "علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب"؛ "ولست أزعّم لنفسي قدرة تفوق قدرة الزميل الفاضل على حوكّ الكلام وتصريف العبارة، فهو من الفوارس المجليّن في هذا المضمار منذ شبابه الباكر، لكّني أطمع أن أجد في جديّة الحوار وعقلانيّته مُعينا لي في العبارة عن ذات عقلي (...) فالكتاب بجلال موضوعه ومكانة صاحبه بين النّاس، أهل لأن يكون موضع المذاكرة والتأمّل"⁽²⁹⁾. وكذلك فعل مع شيخه تَمَام حَسَن *، وأخيه عبد اللّطيف محمّد الخطيب. فهذا الأدب في العبارة - أيّها القارئ -، مطلوب بشدّة في سياق البحوث التّقويميّة، ولا شكّ أنّ ذلك ينبع من صميم الثقافة الإسلاميّة، وقد أمرنا به في القرآن الكريم في كذا موضع. وأقلّ درجة من ذلك، نجد الباحث في بحوث أخرى يكتفي بنعت المخاطب بـ (المؤلّف) ولا يزيد. مثل خطابه مع عبد الصّبور شاهين؛ "ومن حقّ المؤلّف علينا - نحن قراء العربيّة الذين قصد إليهم بخطابه، أن نحفل بالكتاب وما حوى من قضايا"⁽³⁰⁾. والأمر ذاته مع

صلاح الدين صالح حسنين، ومحيي الدين رمضان. بينما ينزل سعد مصلوح في درجة ثالثة إلى خطاب على قدر المخاطب حينما رماه أحدهم بمجانبة الصّواب دون بيّنة وتريث، فأطلق عليه لقب (الفتى)، يقول: " وهكذا بكلمات قلائل خُيِّل للفتى التّحرير أنّه نسف ما كتبته نسفاً، فتركه قاعاً صفصفاً لا ترى فيه عوجاً ولا أمثاً، وأذن الملاً بقوله متحدثاً عن نفسه بصيغة التّعظيم اللّائقة بأمثاله من شيوخ العلم"⁽³¹⁾. والتّحرير بمعنى الحاذق على سبيل السّخرية.

ونظراً لأنّ المقدّمة بوّابة اللّوج إلى عالم النّصّ بعد العنوان، فتدسيقها بالشّكل الذي يُغري القارئ أمر مهمّ، ومن الإغراء اللّافت للانتباه في فواتح سعد مصلوح طرّفه مواضيع مثيرة وجديدة في زمنها، بل وتصلح للمعالجة إلى غاية اليوم، وقد اتّخذ ذلك مسوّغاً لاقتحام فضاء مراجعتها وتقليب النّظر فيها، ومنها مشروع المعجم اللّسانيّ الموحد الذي هو محاولة جادّة " تُغري بجديّة القراءة، بل إنّ من الإنصاف لكلّ جهد مبذول، أن يجد عيناً بصيرة وأدناً سمّية تشاركه المحاولة، وتفتح في المسألة الواحدة أبواباً من المناقشة المثمرة، لا شكّ في جدواها لإنضاج المشروع، وجعله في صورة أقرب ما تكون إلى الكمال المنشود"⁽³²⁾. وهذا ما تسعى المراجعة اللّسانية الوصول إليه، فهي السّبيل لإحياء الكتابات وبعثها للتّداول والمناقشة، والسّعيد - في نظر الباحث - من يجد لكلماته وآرائه صدى، وأنّه لا أقتل له من أن تذهب صيحتُهُ أدراج الرّياح. وكم من كتب قيّمة حيكت حولها مؤامرات الصّمت، فلم تظفر من معاصريها بما هي جديرة به من عناية"⁽³³⁾. فما أسعد الدّين قُوبلت بحوثهم بالمراجعة والنّقد البناء! وممّا يلاحظ أيضاً على بعض فواتح سعد، استحضاره للاقتباسات بحرفيّة حتّى يتّخذها دليلاً يستند إليه، وحجّة ينطلق منها في النّظر والمراجعة والتّقويم، كما هو الحال مع بُحوته؛ "المنهج الصّوتيّ للبنية العربيّة - رؤية جديدة في الصّرف العربيّ"، و "المدخل إلى علم الأصوات - دراسة مقارنة"، و "في صوتيّات العربيّة"، وكذا " المذهب النّحويّ عند تَمّام حسان من نحو الجملة إلى نحو النّصّ". واللّافت أيضاً تأكّيده مرّات عدّة على ضرورة التّخصّص قبل مباشرة الدّراسة، محدّراً من خطر تهافت الهوّة على ما ليس لهم به صلة، ومن ثمّ خطأ النّتائج المتوصّل إليها، حيث يقول بعد مراجعته أحد الكتب: "إنّ هذا الكتاب هو معالجة تلفيقيّة غير متخصصة لمسائل وقضايا لا يجدي في معالجتها إلّا التّخصّص الدّقيق والمتابعة العلميّة المثابرة؛ إذ هي بطبيعتها تستعصي على الهوّة، وتتأبى على التّخمين والحدس"⁽³⁴⁾. وربطاً لهذه الخاتمة بفاتحة البحث الموالي نجده حريصاً على "المزيد من إسهامات العلماء المختصّين بما ييسّر السّبيل إلى توطّن الثّقافة اللّغويّة في جامعاتنا ومعاهدنا ومراكز الفكر المعنيّة بها"⁽³⁵⁾. فلو أنّ كلّ باحث تكلم في تخصّصه لتحسّن الوضع اللّسانيّ العربيّ، ولو سكت من لا يعرف - كما يُقال - لقلّ الخلاف.

4- مفهوم المثاقفة اللّسانية:

إنّ الذي يُمعن النّظر في مراجعات سعد مصلوح للكتابة اللّسانية العربيّة، يجد حضوراً بارزاً لمجموعة من الكلمات الدّالة على مفهوم المثاقفة، وهي كالآتي: (الحوار، الجدل، الخلاف، التّلاقح، الحجاج العلميّ، المراجعة، المثاقفة، المكاشفة، المناقشة)؛ وتعني الحوار العلميّ المنضبط، وذلك ما نستخلصه من مجموع نصوصه، وقوله هنا أشدّ إيضاحاً: "وستتخذ عبارتي صدد ذلك وجهتين: وجهة مُطابقة لشَيْخي على ما ذهب إليه في مسائل، ووجهة الخلاف عمّا ذهب إليه في مسائل. ولعلّ السّبيل الآن مبهودة بعد التّفصيل الذي كان لإنجاز ما صمدتُ إليه من حوار علميّ، أردته ليكون مثاقفة بين الشّيوخ ومريده"⁽³⁶⁾. فالمثاقفة عنده تقتضي ذكر أوجه الاتّفاق ثمّ أوجه

الخلاف، خدمةً للبحث العلمي، وألاً تحجب الصداقة بين المؤلف والمراجع القيام بهذا الواجب. وأمّا المنضبط فيعني المؤسس* القائم على دعائم صلبة وأسس متينة، وذلك ما أشار إليه حافظ إسماعيلي علوي في معرض توضيحه لمفهوم التقويم اللساني: "ومن تلك الأسس: وضوح المنهج والربط بين المقدمات والنتائج، واعتماد أساليب التوضيح، ووجاهة صياغة الأسئلة والإشكالات والإجابة عنها بوضوح، والموضوعية في الطرح، وتنوع المرجعيات التفسيرية، واعتماد آليات التحايج والتناظر في التحليل"⁽³⁷⁾. وجلّ هذا - إن لم نقل كلّ - نجده موظفاً بذلك في بحوث سعد مصلوح التي أشرنا إليها آنفاً، ما يعني وعيه بما يفعل وينجز، وارتكازه على مقومات تجعل منجزاته في صميم المراجعة اللسانية المؤسّسة. وأمّا الغاية من المثاقفة التي تضاف لمفهومها المستخلص، فنجدها ماثلة بوضوح في إحدى فواتحه حين يقول: "ذلك أنّ المثاقفة مهما تكن منطلقاتها وغاياتها، هي أقصر السبل إلى جلاء الغموض، وتحريك الجمود، واستبانة المقاصد"⁽³⁸⁾. فما أجلّها من غايات!

سبق القول أعلاه أنّ المثاقفة لدى الباحث تستند لأسس علمية، وبصيغة أخرى: أن تقوم على منهجية واضحة حتى لا تكون مجرد كلام، ولعلّ أول أساس منهجي يؤكّد على ضرورته؛ ضبط وتحريم المفهوم المصطلحي، "إذا استبان حظّ هذا المفهوم من الصواب، أصبح تقويم ما توصّل إليه من نتائج قائماً على أساس منهجي سليم، وحينئذ يكون قبولها أو تعديلها أو اطراحها عن بيّنة. وسأحاول الآن أن أعرض بأقصى الدقّة والأمانة العلمية الممكنة لمثلي تفسير أبو ديب لمقولة الكمّ، تمهيداً لمناقشته مناقشة هادئة"⁽³⁹⁾. فبالإضافة لتوضيح المفهوم بدقّة كأساس أول للمراجعة، يحمل هذا القول أساسين آخرين: الأمانة العلمية، والمناقشة الهادئة. يضاف إليهما ما أورده في موضع آخر وهو؛ عدم خلط الذاتيّ (الشخصيّ) بالعلميّ، يقول: "ومن ثمّ سأقيم المناقشة - ما وسعني الجهد- على أسس معرفيّة ومنهجية مفارقة للأشخاص والأعيان"⁽⁴⁰⁾. ومن الأسس المهمة أيضاً التي نجده حاثاً عليها؛ أن تكون لغة العلم في المستوى المطلوب، بعيداً عن الركاكة والابتذال والسطحية في التعبير، وهذا في إطار سعيه الدؤوب لخدمة اللغة العربية، يقول معاتباً بعض التعليقات الموجّهة إليه عقب إلقائه للمحاضرة المثيرة (المنهج اللغوي في النقد الحديث): "فلغة العلم ما كانت يوماً لتتسع لمثل هذه الهلامية في التعبير؛ تلك التي تُوهّم ولا تُبين، والتي هي بلغة التعاويد والطلاسم أشبه منها بلغة أهل العلم وسدنة المعرفة الحقّة"⁽⁴¹⁾. هذه إذن مجموعة من الأسس والمعايير التي رغب فيها سعد مصلوح رؤاد ومريدي المراجعة النقدية الحقّة، وما عليهم سوى الأخذ بها إذا ما أرادوا لأعمالهم تحقيق النفع والمضيّ قدماً نحو مراتب الجودة والريادة.

مع الإشارة إلى أنّ الباحث كان بإمكانه دمج ما أسماه (الدراسات والمثاقفات) في كتابته السابقيين تحت مسمى واحد (المثاقفات)؛ لأنّ المتتبع لبحوثه سيجد أنّ المنهج المتبع واحد (منهج حجّاجيّ)، واختلاف الذي قد يلاحظ ويسجل يكمن في حجم البحث فحسب، إذ تفوق الدراسة عنده المثاقفة من حيث عدد الصفحات، وكلّها تنضوي في إطار المراجعة اللسانية المؤسّسة، الهادفة إلى توجيه مسار الأفهام الوجهة الصحيحة المعتدلة، والمحافظة على المنهج العلمي الموضوعي؛ امتثالاً لقول الشافعي - رحمه الله - الذي ختم به مصلوح أحد بحوثه وهو عاقد العزم على الإصلاح ما استطاع: "ما ناظرتُ أحداً في مسألة إلاّ سألت الله أن يُظهر لي وجه الحقّ فيها، لا أبالي أظهره على لسانه أم على لساني"⁽⁴²⁾.

خاتمة؛

صَفَوْهُ القول الّتي نخلص إليها بعد الطّواف حول مُراجعات سعد مصلوح لعدد البحوث اللّسانيّة المنجزة في البلاد العربيّة:

- أنّ الباحث متمثّل لثقافة المراجعة النّقديّة الواعية، المستندة لأُسس علميّة رصينة، بعيداً عن المجاملات والعواطف، وإن كان ثمة قسوة أحيانا فهي نابعة من حماسه العلميّ، وغيّرتَه على التّخصّص حال اقتحامه من الهوّة والعبث بمفاهيمه ومبادئه. وإن كان من لُطف في العبارة قد يلاحظها القارئ أحيانا؛ فهي نابعة بالقوّة من المُريد لشيخه، أو من الأخ لأخيه، أو من الزّميل لزميله.

ومن الأسس الّتي يركّز عليها ونجد لها حضورا لافتاً في جُلّ أبحاثه:

* الضّبط الدّقيق لمفهوم المصطلحات، والتّحديد الجيّد للمبادئ الّتي يقوم عليها العِلْم.

* تحري الأمانة العلميّة في نسبة الأقوال، والاستعانة بالاقتباسات لإثبات الحُجّة.

* التّأكيد على استخدام الأساليب العربيّة الصّحيحة والفصيحة مع تجنّب السّطحيّة والمبتذلة.

* المناقشة الهادئة للنّصّ العلميّ وعدم الخروج به إلى الطّعن في شخص المؤلّف.

* تنوع المرجعيّات التّفسيريّة في تحليل الكتابات للبرهنة على صحّة أو خطأ القول في المسألة.

* انسجام مضمون البحث واتّساق عباراته حتّى يشعر القارئ لكأنّه كُلُّ مُتكامل.

* موضوعيّة الطّرح، وأهميّة الموضوع المطروق، والتّخصّص قبل مباشرة المراجعة.

- إنّ سعد مصلوح بهذه الأسس المتضمّنة في منجزاته ليرسّخ ما يسمّيه "الثّقافة"؛ وهي بمعنى المحاورّة الهادئة

لأهداف سامية جليلة، لعلّ أهمّها الرّقيّ بمنظومة البحث العلميّ الأكاديميّ، واللّسانيّ منه على وجه الخصوص، وكشف البحوث الّتي تطرب الأذان لسماع عناوينها، فإذا ما راجعها العقل وحاورها البصر لم يجدها شيئا يُذكر.

وكم نحن بحاجة إلى التّخلّص منها!

ومما يوصّى به في الأخير ونحسب أنّه مفيد للثقافة العربيّة:

- أن يعكف الّذين أوتوا نصيباً من التّخصّص في اللّسانيّات على مزيد من الفحص والتّشذيب والتّنقية لما

يُكتَب في مجالاتها المتعدّدة؛ فلا يدعون معوجّاً إلّا وقوموه، ولا دخيلاً إلّا وأزاحوه، وذلك كلّه من أجل التّمكن

لصحيح العِلْم؛ منهجا وموضوعاً، ومصطلحاً ومفهوماً، ومن ثمة فسح الطّريق نحو التّطبيق، وربط النّظريّات بما

يخدم العربيّة في القطاعات الحيويّة: التّعليم، السّياحة، المؤسّسات الاقتصاديّة، المنصّات الرّقميّة..

- تأسيس مجلّات خاصّة بالمراجعة النّقديّة، تهتمّ بنشر البحوث الّتي تتابع في إخلاص جهود البَحْثَة

المُضطلعين بنقل وتعريب النّظريّات اللّسانيّة ومستجدّاتها، وكلّ ما يخصّ اللّغة العربيّة؛ سواءً في إطار التّراث أم الحداثة.

الهوامش والإحالات:

- ¹ - حمزة المزيني، (يونيو 2000م)، مراجعات لسانية، سلسلة كتاب الرياض، السعودية، ج 1، ص 5.
- ² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ³ - المرجع نفسه، ص 6.
- ⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ⁵ - مصطفى غلفان، (1998)، اللسانيات العربية الحديثة - دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية -، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، ص 10.
- ⁶ - المرجع نفسه، ص 11.
- ⁷ - المرجع نفسه، ص 13.
- ⁸ - حمزة المزيني، مراجعات لسانية، ص 9.
- ⁹ - حافظ إسماعيلي علوي، (2018)، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، - دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته -، دار كنوز المعرفة، ط 1، عمان، الأردن، ص 19.
- ¹⁰ - المرجع نفسه، ص 17.
- ¹¹ - مبارك حنون، (2023)، من اختلاف اللسانيات إلى لسانيات الاختلاف، دار كنوز المعرفة، ط 1، عمان، الأردن، ص 213.
- ¹² - المرجع نفسه، ص 266.
- ¹³ - سعد عبد العزيز مصلوح، (2010)، في النقد اللساني - دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف -، عالم الكتب، ط 2، القاهرة، مصر، ص 9.
- ¹⁴ - المرجع نفسه، ص 8.
- ¹⁵ - سعد عبد العزيز مصلوح، (2015)، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومثاقفات -، عالم الكتب، ط 2، القاهرة، مصر، ص 11.
- ¹⁶ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ¹⁷ - المرجع نفسه، ص 12.
- ¹⁸ - سعد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني - دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، ص 7.
- ¹⁹ - المرجع نفسه، ص 238.
- ²⁰ - المرجع نفسه، ص 207.
- ²¹ - المرجع نفسه، ص ص 211، 212.
- ²² - المرجع نفسه، ص 9.
- ²³ - يُنظر، حمزة بن قبلان المزيني، (1441/05/12هـ - 2020/01/07م)، البكاء من تحقيق البكاء - ملحوظات على تحقيق الأستاذ الدكتور محمد كاظم البكاء لكتاب سيويه -، <https://2u.pw/voNFWT8v>
- ²⁴ - يُنظر، خالد كاظم حميدي، (2020/02/25م)، نقد أكاديمي، <https://2u.pw/6mefYsOy>
- ²⁵ - نعمان بوقرة، ملامح التفكير اللساني الحديث عند حمزة بن قبلان المزيني، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ع 10، مارس 2011، ص 37.
- ²⁶ - سعد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني - دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، ص 8.

- 27 - المرجع نفسه، ص 34.
- 28 - المرجع نفسه، ص 88.
- 29 - المرجع نفسه، ص 169.
- * - يقول في حاشية الصفحة 244 من كتابه " في اللسانيات العربية المعاصرة": يتردد اسم شيخنا الأستاذ الدكتور تمام حسان في البحث كثيرا، وقد - والله - حرت طويلا في كيفية إيراد، وهو عندي بالمقام الذي يعلم من الهيبة والإجلال. بيد أنني لم أجد خيرا من هذا الوصف صدقاً على حقيقة الجامعة التي تشج ما بيّني وبينه.
- 30 - سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومثاقفات -، ص ص 94-95.
- 31 - سعد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني - دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، ص 251.
- 32 - سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومثاقفات -، ص 55.
- 33 - المرجع نفسه، ص 93.
- 34 - المرجع نفسه، ص 169.
- 35 - المرجع نفسه، ص 173.
- 36 - المرجع نفسه، ص ص 220-221.
- * - ينظر هنا إلى العنوان الفرعي: (الكتابة النقدية المؤسسة) من كتاب مشترك بين: حافظ إسماعيلي علوي، محمد الملاح، (2009)، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، لبنان، ص 194.
- 37 - حافظ إسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللساني المعاصر - كتابات سعد مصلوح أنموذجا -، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري - تيزي وزو، الجزائر، ع 36، جوان 2016، ص 13.
- 38 - سعد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني - دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، ص 169.
- 39 - المرجع نفسه، ص 95.
- 40 - المرجع نفسه، ص 183.
- 41 - المرجع نفسه، ص 215.
- 42 - المرجع نفسه، ص 81.

قائمة المصادر والمراجع:

- حافظ إسماعيلي علوي، (2018)، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، - دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته -، دار كنوز المعرفة، ط 1، عمان، الأردن.
- حافظ إسماعيلي علوي، محمد الملاح، (2009)، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، لبنان.
- حمزة المزيّني، (يونيو 2000م)، مراجعات لسانية، سلسلة كتاب الرياض، السعودية، ج 1.
- سعد عبد العزيز مصلوح، (2015)، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومثاقفات -، عالم الكتب، ط 2، القاهرة، مصر.
- سعد عبد العزيز مصلوح، (2010)، في النقد اللساني - دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف -، عالم الكتب، ط 2، القاهرة، مصر.
- مبارك حنون، (2023)، من اختلاف اللسانيات إلى لسانيات الاختلاف، دار كنوز المعرفة، ط 1، عمان، الأردن.

- مصطفى غلفان، (1998)، اللسانيات العربية الحديثة - دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية -، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب.
- حافظ إسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللساني العربي المعاصر - كتابات سعد مصلوح أنموذجاً -، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري - تيزي وزو -، الجزائر، ع36، جوان 2016.
- نعمان بوقرة، ملامح التفكير اللساني الحديث عند حمزة بن قبلان المزياني، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع10، مارس 2011.
- حمزة بن قبلان المزياني، (12/05/1441هـ-07/01/2020م)، البكاء من تحقيق البكاء - ملحوظات على تحقيق الأستاذ الدكتور محمد كاظم البكاء لكتاب سيويه -، <https://2u.pw/voNFWT8v>
- خالد كاظم حميدي، (25/02/2020م)، نقد أكاديمي، <https://2u.pw/6mefYsOy>